

وقائع المؤتمر الدولي الأول

لمؤسسة الإمام زين العابدين عليه السلام للبحوث والدراسات

بالتعاون مع جامعة واسط

(الأبعاد التربوية والاجتماعية في تراث الامام زين العابدين عليه السلام)

المجلد الأول

المحور الأول – علم النفس التربوي

تأصيل الدعاء عند الإمام زين العابدين (عليه السلام)

"لبناء الشخصية الإسلامية الأصيلة"

أ.د. نسيب محمد حطيّط العاملي

بسم الله الرحمن الرحيم

"ملخص"

إن منظومة الدعاء للإمام زين العابدين (عليه السلام)، منظومة أصيلة، لها جذورها القرآنية والنبوية، لتثبيت ركن التوحيد لله سبحانه وتعالى، والتوحيد السلوكي والتسليم بأنه المرجع الأوحد والقادر على العطاء والرزق والحماية، مع وجوب حصريّة الدعاء لله سبحانه دون شراكةٍ، لمخلوق وفق التكليف والأمر الإلهي، وعدم اعتباره امراً تطوعياً أو عند الحاجة والبلاء، ويشكل الدعاء، مدرسة تربوية ذاتية، لإعداد الشخصية الإسلامية الأصيلة غير المهجنة أو المدجّنة، وصولاً إلى شخصية العبد الصالح الذي يحبه الله ويرضى عنه، و يحقق الخطاب المباشر بين العبد وخالقه دون حواجز ودون إبطاء، فالله سبحانه هو الأقرب من حبل الوريد.

الدعاء وفق المنهج السجّادي، مدرسة تربوية روحية ذاتية، لإستتقاذ النفس من التلوّث الدنيوي والإرتقاء بها، للمستوى الأخروي، بما ينسجم مع توصيفها، كخليفة لله سبحانه على الأرض، وهو سلاح الأنبياء والمؤمنين وليس سلاح الضعفاء، لتأديب النفس الأمارة بالسوء وتحويلها الى الشخصية الإيمانية التي تعمل وتسعى وتدعو الله سبحانه لضمان النجاح والتوفيق.

Abstract:

The system of supplication (du'aa) for Imam Zain al-Abidin (peace be upon him) is an authentic system with Quranic and prophetic roots, aimed at affirming the pillar of monotheism (Tawhid) for Allah, the Almighty, and acknowledging Him as the sole reference and the capable provider of sustenance, protection, and giving. It emphasizes the exclusive obligation of supplication to Allah alone without associating human partnership, as mandated by divine command, and not considering it a voluntary act or only in times of need and calamity.

Supplication constitutes a self-educational school for developing an authentic Islamic personality, unadulterated and undomesticated, leading to the formation of a righteous servant loved and pleased by Allah. It establishes a direct communication between the servant and the Creator without barriers and delays, as Allah is closer than the jugular vein.

According to the Sajjadi method, supplication is a spiritual and self-educational school for rescuing the soul from worldly contamination and elevating it to the level of the hereafter. This aligns with the description of humans as Allah's vicegerent on earth. It is the weapon of the prophets and believers, not a weapon of the weak, for disciplining the self that incites evil and transforming it into a faithful personality that works, strives, and supplicates to Allah for guaranteed success and prosperity.

الكلمات المفتاحية: الإمام زين العابدين - الإمام السّجاد - الدعاء - القرآن الكريم - الرسول الأكرم - الشخصية الإسلامية - المنظومة - الأخلاق.

مقدمة.

تتّصف الطبيعة الإنسانية، بالنقص وعدم الكمال المطلق أو القوة المطلقة، وتحتاج لتأمين أمور حياتها، لمساعدة خارجية، فإما أن تطلبها من شخص أو جماعة، أو تتلقاها من متطوع ومتبرّع ويمكن للإنسان ان يتوجّه، بطلب المساعدة الى نظير له في الخلق أكثر منه قوة وإمكانات وسلطة، لكنها تبقى ضمن مستوى المساعدة المقيدة والمحدودة، لأن مخلوقاً ضعيفاً ناقص القدرة، يطلب من مخلوقٍ ضعيفٍ، ناقص القدرة والمحدود العمر ايضاً مع إختلاف في الإمكانيات والنواقص وإما ان يتجه الإنسان الى القوة المطلقة والقدرة التي تملك خزائن الأرض والسماء، وتتسع رحمتها كل شيء ولها القدرة ان تقول للشيء "كن، فيكون" وببيدها كل شيء دون شراكة لأحد، كما يقول الإمام علي(عليه السلام) في وصيته لابنه الإمام الحسن (عليه السلام) (إعلم أن الذي بيده خزائن ملكوت الدنيا والآخرة قد أذن لدعائك، وتكفل لإجابتك، وأمرّك أن تسأله ليعطيك، وهو رحيم كريم، لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه... ثم جعل في يدك مفاتيح خزانته بما أذن فيه من مسألته، فمتى شئت.. إستفتحت بالدعاء أبواب خزانته)^(١)

إن العاقل الذي يرغب بتلبية حاجاته، يتوجه نحو القوة المطلقة العادلة والقادرة، غير الظالمة وهي الله سبحانه وتعالى، وطلب الحاجة من الله يسمى "الدعاء" إما طلب الحاجة من المخلوقين من البشر محدودي القدرة، يسمى طلباً أو سؤالاً أو تسوّلاً أو صدقة أو تبرّعاً.

تتشترك الرسائل السماوية، بالعناوين الأساسية للمنظومة القيمية الأخلاقية (ماعداء اليهودية المحرّفة في التلمود) وتشترك أيضاً في هذه المنظومة مع الحضارات الإنسانية للأمم السابقة، وهذا ما أكّده رسول الله الأكرم (صلى الله عليه وآله) (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(٢) وهذا اقرار بوجود منظومة أخلاقية أقرها الإسلام^(٣)، لكنه وصفها

(١) - أبي محمد الحسن بن شعبة الحراني من فقهاء القرن الرابع - تحف العقول - ٧٥.

(٢) - المنقي الهندي - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - ٣١٩٦٩.

(٣) - معاملة الرسول الأكرم لبنت حاتم الطائي بعد سبيها (بعد سبي "سُقانة" بنت حاتم الطائي مر عليها رسول الله الأكرم (صلى الله عليه وآله)

فقلت له: يا رسول الله امنن علي، من الله عليك، فقد هلك الوالد وغاب الوافد ولا تُشمت بي احياء العرب، فإني بنت سيد قومي.. كان ابي يفك الاسير ويحمي ضعيف ويُقري الضيف ويشبع الجائع ويُفرّج عن المكروب ويُطعم الطعام ويُغشي السلام ولم يرد طالب حاجه قط.. انا بنت حاتم الطائي.. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا جارية... هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه.... ثم قال لأصحابه خلّوا عنها، فان اباها كان يحب "مكارم الاخلاق" فطلبت منه ان يفك أسر النساء.. فاجابها كرامة لأخلاق ابيها... (مختصر تاريخ دمشق - ابن عساكر - تصنيف ابن منظور - ١٩٨٩ - دار الفكر - دمشق - سورية)

بالمنظومة الناقصة على المستويين "الإلهي - الروحي"، وأيضاً على المستوى البشري المادي وفي حديث آخر، يقول (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)^(١) ويقول السيد المسيح (عليه السلام) في انجيل مرقس (إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ ذَلِكَ يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ، لِأَنَّهُ مِنَ الدَّاخلِ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ تَخْرُجُ الْأَفْكَارُ الشَّرِّيرَةُ... زِنَى فِسْقٌ قَتْلٌ، سِرْقَةٌ طَمَعٌ خُبْتُ مَكْرٌ عَهَارَةٌ عَيْنٌ شَرِيرَةٌ تَجْدِيفٌ كِبْرِيَاءُ جَهْلٌ. ، جَمِيعُ هَذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخلِ وَتُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ)^(٢)

فالدعاء طلب طوعي، لهداية الإنسان وتشذيب النفس وتطهيرها وتهذيبها من كل خلق سيء، بإتجاه خلق أحسن حتى يتكامل الخلق الذي خلقه الله في أحسن تقويم مع منظومة الأخلاق الحسنة المثالية وهذا ما سعى إليه الإمام زين العابدين، ليكون دعاء العبد لله سبحانه وتعالى، لطلب العون على تهذيب نفسه، الإمارة بالسوء، لتدخل في طاعة الله علّها تكون "النفس مطمئنة" حيث يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) (اللهم إهدي لأحسن الأعمال، وأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وقني سيئ الأعمال، وسيئ الأخلاق، لا يقي سيئها إلا أنت)^(٣) لبناء الشخصية الإسلامية المثالية النموذجية التي يحبها الله ورسوله، فيقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء)^(٤) ليكون المسلم الخلق المؤدّب، نقطة جذب واستقطاب للعالمين المحيطين به حتى يتقربوا ويحبوا الإسلام، ويروا الصورة الحسنة التي تجعلهم ينتقلون من دائرة العداء الى دائرة الحياد ثم من دائرة الحياد الى دائرة التأييد والايمان بالإسلام ويمكن اعتبار دعاء "مكارم الاخلاق" للإمام زين العابدين (ع) المرشد التربوي والروحي، لبناء وإعداد الشخصية الإسلامية المؤمنة التي تمثل الإسلام سلوكاً واخلاقاً.

أصول وجذور منظومة الدعاء التربوية، للإمام زين العابدين (عليه السلام).

إن تحديد المدخل الفكري والتاريخي، أمر واجب، لتحليل المنظومة الأخلاقية التي دعا إليها الإمام زين العابدين (عليه السلام)... المرتكزة على الدعاء والشخصية الأخلاقية، لأن تمام مكارم الأخلاق والأدب، للإنسان، الطلب والدعاء من الله جلّ وعلا، حاجته وهو "الموجود الدائم والقادر والقريب" وعدم الوقوع في خطأ تغيبه أو الإستغناء عنه بالطلب

(١) - المتقي الهندي - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - ٣١٩٩٦.

(٢) - ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة - ج ١٦ - الصفحة ٢٠٥.

(٣) - ابن حجر العسقلاني - نتائج الأفكار - الصفحة أو الرقم 1/411

(٤) - الألباني - صحيح الجامع الصغير وزيادته، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.

من الآخرين، مما يوحي سواء بقصد أو غير قصد، لقدرة البشر وضعف الخالق دون تبرير بالخلل والحياء، لطلب أمور شخصية بسيطة، حيث يقول رسول الله الأكرم (صلى الله عليه وآله) (سلوا الله عز وجل، ما بدا لكم من حوائجكم، حتى شسع النعل فإنه إن لم ييسره لم ييسر. ^(١))

والسؤال أو الإستفهام... هل ان منظومة "الدعاء" أسسها الإمام زين العابدين ابتدائية أي انها منظومة مبتورة ومستحدثة... أم أنها منظومة اصيلة لها جذورها القرآنية والنبوية؟.

يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)(إن الله تعالى بعثني، بتمام مكارم الأخلاق، وكمال محاسن الأعمال)^(٢)، حيث سلك الإمام زين العابدين، النهج النبوي والإمامي في توسعة الشرح والتجزئة والتفاصيل في العناوين العامة، فكما كانت السنّة النبوية شرحاً للآيات القرآنية الشريفة، كأحكام تطبيقية لتنظيم السلوك البشري بمستوياته ومحاوره المتعددة و تحويل الخطاب الإلهي من أحكام وأوامر ونواهي من مستواها الالهي؛ إلى مستوى الفهم البشري، لتغطية كل الإشكالات والإجابة عن كل الأسئلة المطروحة الطارئة والمتغيرة ومعالجة كل المشاكل التي تعترض الناس وفق تغير الزمان والمكان، بالإضافة إلى فتح الطرق للمساحات المغلقة، او غير المكشوفة، لتوسعة دائرة الخير وزرع البذار الصالح في حقول الحياة، لزيادة الحصاد من حقول الدنيا، لصالح الإنسان المسلم وصرفها يوم الحساب في الآخرة، دون تجاوز المكافآت الدنيوية التي يرزقه الله منها، تيسيراً ورزقاً إلهياً مباشراً، او تسخيراً للآخرين من البشر في خدمة العبد المؤمن او الاحترام والطاعة.

ان الإعلان النبوي الصريح بصيغتيه(انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)^(٣) او (انما بعثت لأتمم صالح الاخلاق)^(٤) يؤكد دور الاخلاق في عبادة الله سبحانه، وفق الآيات القرآنية التي اوضحت هدف الخلق (وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون)^(٥) وبما ان دور الرسل والأنبياء والأئمة والصالحين، يهدف لصناعة الإنسان المؤمن العابد الذي يتّصف

(١) - العلامة المجلسي _بحار الأنوار - ج٢٣ - ص ٢٩٥.

(٢) - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال _المتقي الهندي -حديث رقم، ٣١٩٤٧.

(٣) - عطية بن محمد سالم_ شرح الأربعين النووية- المؤلف: -الناشر دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية -

<http://www.islamweb.net> -[رقم الجزء هو رقم الدرس - ٨٥

(٤) - احمد بن حنبل- مسند احمد_ حديث رقم ٨٩٥٢.

(٥) - سورة الذاريات- آية رقم ٥٦.

بمواصفات العبد الصالح لله سبحانه ولا يمكن أن يكون الإنسان عبداً صالحاً لله سبحانه، إذا لم يكن ملتزماً، بالمنظومة الأخلاقية الدينية الإسلامية خصوصاً، فيصبح العمل بمكارم الأخلاق والالتزام بها، كهدف وباب وجسر، لتحقيق الهدف الإلهي وهو "عبادة الله وتوحيده" وإذا كان دور الأنبياء التذكير بنعم الله جل وعلا، وإظهار قوته وقدرته والعمل بأحكامه وبما أن الأئمة (عليه السلام) وفقاً للفقهاء الشيعة يقومون بالمهمة المكتملة للأنبياء ولهم صلاحية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) و بعد الإعلان النبوي في " غدير خم" (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)^(١) بالإضافة إلى توصيف الرسول، لمنزلة الإمام علي منه فيقول: (يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)^(٢)

التأصيل القرآني للدعاء.

إن منهج "الدعاء" الذي سلكه الإمام زين العابدين (عليه السلام) يُعتبر تنفيذاً عملياً، للأمر والدعوة الإلهية، بصيغة الأمر الوجوبي للعباد مع تبيان كفيته ومواقفته وحالاته على مستوى الفرد والجماعة والوعد بالثواب، للمطيعين الداعين والعقاب للعاصين المستكبرين عن الدعاء.

الجزور القرآنية للدعاء.

إن الجزور القرآنية للدعاء، بالمعطى العام الذي أسس له الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) ثم المنظومة الدينية، لصناعة الشخصية الإسلامية وتثبيت مفهوم "التوحيد، بالدعاء" لله سبحانه وتعالى، عبر حصر الدعاء بالله سبحانه وطلب العون منه والاعتقاد الثابت دون أي شك، بقدرته على تحقيق الدعاء ومنع البلاء وتأمين مصالح العبد، ضمن دائرة الحلال وترتكز منظومة الدعاء التي تميز بها الإمام علي (عليه السلام) ثم بشكل أوسع وفي فترة زمنية أطول الإمام زين العابدين والتي تم جمعها "بالصحيفة السجّادية" التي تُعتبر مرجعاً أساسياً عند المسلمين الشيعة، للدعاء ومكارم الأخلاق ويمكن إيجاز هذه الركائز بما يلي:

أ- الآيات القرآنية الداعية للدعاء لله سبحانه.

ب- الآيات القرآنية الناهية عن الدعاء، لغير الله سبحانه.

(١) - أحمد بن حنبل-مسند أحمد بن حنبل-مسند الخلفاء الراشدين -مسند علي بن أبي طالب (حديث رقم: ٦٤١).

(٢) - الشيخ الصدوق، الامالي، ص ٤٩١.

جـ. الجذور القرآنية، للشخصية الإسلامية_الإيمانية.

الآيات القرآنية الأمرة بالدعاء لله سبحانه.

لقد دعت الآيات القرآنية المباركة، إما بصيغة الأمر الوجوبي للدعاء أو النهي عن الدعاء لغير الله سبحانه وتعالى، لتثبيت حصريّة الدعاء بالله سبحانه وتثبيت التوحيد بالمعطى الكلامي والسلوكي في كل لحظة من العمر وفي كل الأمور الدنيوية والأخروية للفوز بمرتبة العبودية الخالصة لله جلّ وعلا وتعالى وتوزّعت على الآيات القرآنية في أكثر من سورة في القرآن الكريم (خمسة عشر سورة) وأغلبها في السور "المكية" (إحدى عشر سورة) عند بدء الدعوة النبوية المباركة، لترسيخ ثقافة التوحيد وعدم الركون للكفار وإعطاء الأمل والطمأنينة للقلّة المؤمنة حتى لا تشعر بالضعف والاستسلام وفق التالي:

- (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)^(١)
- (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)^(٢).
- قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ۖ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۖ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)^(٣).
- ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ^(٤).
- قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ^(٥)
- وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ^(٦).
- (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۖ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(٧).

(١) - سورة غافر_ آية رقم ٦٠.

(٢) - سورة البقرة_ آية رقم ١٨٦.

(٣) - سورة الإسراء _ آية رقم ١١٠.

(٤) - سورة الأعراف_ آية رقم ٥٥

(٥) - سورة الأعراف_ آية رقم ٢٩

(٦) - سورة الأعراف _ آية رقم ٥٦.

(٧) - سورة الأعراف ١٨٠.

- (بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) (١).
- (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (٢).
- (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٣).
- (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا) (٤).
- (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (٥).

الآيات التي تنهى عن الدعاء لغير الله سبحانه...

- (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) (٦).
- (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (٧).
- (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (٨).
- (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ...) (٩).
- (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) (١٠).

(١) - سورة الانعام- آية رقم ٤١

(٢) - سورة غافر- آية رقم ١٤

(٣) - سورة غافر- آية رقم ٦٥ ٦٦

(٤) - سورة الكهف- آية رقم ٢٨.

(٥) - سورة إبراهيم- آية رقم ٣٧.

(٦) - سورة الشعراء- آية رقم ٢١٣.

(٧) - سورة القصص- آية رقم ٨٨.

(٨) - سورة يونس- آية رقم ١٠٦.

(٩) - سورة الصافات- آية رقم ١٢٥.

(١٠) - سورة الأحقاف- آية رقم ٥.

- (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)^(١).
- (يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ)^(٢).
- (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)^(٣).

لقد إعتد الأنبياء والرسل، منهج الدعاء في اللحظات الصعبة والمفصلية على طريق الدعوة أو التهديد بالخطر على الحياة، وعدم إكتمال المهمة الموكلة إليهم إلهياً؛ ولأن الدعاء ركيزة أساسية على مستوى العقيدة وعلى مستوى العلاقة العبادية بين المخلوق والخالق رب العالمين، نرى أن الصلاة في الإسلام توجب قراءة الفاتحة في كل ركعاتها وصلواتها الخمس المفروضة ويأتي الدعاء من سورة "الفاتحة" أساساً في خطاب "العبد" " لسيده وربّه الخالق" (إهدنا الصراط المستقيم)^(٤) (١٧ مرة في كل ركعة من الصلوات الخمس اليومية المفروضة) بالإضافة للصلوات الأخرى، مع التأكيد والتوضيح على ماهية الصراط "صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين"^(٥) وإذا كان الدعاء أمراً إلهياً، يصبح العمل به تنفيذاً، لتكليف إلهي واجب الطاعة، وواجب الإستمرار، والتسليم، وعدم الإهمال أو التقصير، بالعمل به وعندها لا يكون الدعاء سبيلاً أو سلاحاً، للضعفاء، بل سلاح المؤمن وسلاح الأقوياء؛ لأنهم يدعون الأقوى والأكبر والأعظم الجبار والرزاق، مع حسن الظن به ويقول رسول الله الأكرم (صلى الله عليه وآله) (ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم، ويدر أرزاقكم؟) قالوا بلى يا رسول الله.

قال (تدعون ربكم بالليل والنهار، فإن سلاح المؤمن الدعاء)^(٦).

وعندما تدعو الله سبحانه وتعالى مع حسن الظن به واليقين، بأنه سيعطيك ما يراه في علم غيبه، لصالحك في الدنيا والآخرة، ستكون أقوى الأقوياء على مستوى البشر، لأنك تطلب من رب العالمين، بينما يطلب غيرك من

(١) - سورة المؤمنون-آية رقم ١١٧.

(٢) - سورة الحج -آية رقم ١٢.

(٣) - سورة الجن -آية رقم ١٨

(٤) - سورة الفاتحة- آية رقم ٦.

(٥) - سورة الفاتحة- آية رقم ٧.

(٦) - ورام المالكي الأشعري _تنبيه الخواطر - ج ٢ / ٢٣٧.

أشباهه" المخلوقين الضعفاء " حتى لو كانوا أصحاب سلطة وقوة ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ولا يمنعون موتاً أو فناءً (قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۚ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) ^(١) وفي آية ثانية يستهزئ الله سبحانه ويستضعف من ندعو من البشر (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) ^(٢) ^(٣).

إنطلاقاً من هذه المبادئ؛ نرى ان المنظومة القيمية الأخلاقية عند الامام السجّاد (عليه السلام) من باب الدعاء هي منظومة أصيلة غير مبتورة ولها جذورها القرآنية، بل وجذورها "الحنيفية" منذ النبي إبراهيم (عليه السلام) وهذه المنظومة التي سلكت طريق الدعاء، تدعو إلى الصراط الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى والتي رسمها، لعباده المخلصين والصادقين الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

الجذور القرآنية للشخصية الإسلامية الإيمانية.

ان أسس ومواصفات الشخصية الإسلامية الإيمانية وفق النصوص القرآنية والتي تضمنتها منظومة الدعاء للإمام زين العابدين، سواء بمنهج "الدعاء" أو "المناجاة" وعمّت مضامينها وضمن أسلوب بلاغي وادبي يليق بالمشيئة الإلهية، لناحية الأدب والخشوع والتذلل والحياء وحسن الظن بالله ودعت لتهديب وتأديب النفس لتؤمن شروط المطلوبة وتفوز ببطاقة الشخصية الإسلامية الإيمانية أي مرتبة "عباد الله" وهي

التوحيد: (قل هو الله أحد) (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ^(٤). وهذا ما يتضمنه الدعاء السجّادي (اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِكَ،) ^(٥) (وَوَسِّيلَتِي إِلَيْكَ التَّوْحِيدُ، وَدَرِيعَتِي أَنِّي لَمْ أَشْرِكْ بِكَ شَيْئًا، وَلَمْ أَتَّخِذْ مَعَكَ إِلَهًا...) ^(٦) وهذا ما برز بشكل واضح في دعاء الغمام زين

(١) - سورة الرعد_ آية رقم ١٦.

(٢) - القشرة الرقيقة بين التمرة والنواة.

(٣) - سورة فاطر _ آية رقم ١٣.

(٤) - سورة البقرة- آية رقم ٢٥٥.

(٥) - دعاء يوم الأضحى ودعاء يوم الجمعة - الدعاء رقم ٤٨ من الصحيفة السجّادية.

(٦) - دعاء دفع كيد الأعداء ورد بأسهم - الدعاء رقم ٤٩ من الصحيفة السجّادية.

العابدين في يوم عرفة (أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الْمُتَوَحَّدُ الْفَرْدُ الْمُتَقَرِّدُ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْكَرِيمُ الْمُتَكَرِّمُ، الْعَظِيمُ الْمُتَعَزِّمُ، الْكَبِيرُ الْمُتَكَبِّرُ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْعَلِيُّ الْمُتَعَالِ، الشَّدِيدُ الْمِحَالِ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْقَدِيمُ الْخَبِيرُ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْكَرِيمُ الْأَكْرَمُ، الدَّائِمُ الْأَدْوَمُ، وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ عَدَدٍ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الدَّانِي فِي عُلُوِّهِ، وَالْعَالِي فِي دُنُوِّهِ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)^(١)

- شهادة الإسلام: النطق والإعتقاد بالشهادتين (واشهد ان لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله... الطاعة لله ورسوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)^(٢)

- الإيمان بالمعاد: الإيمان بان الله سبحانه، مالك يوم الدين والرجعة اليه حتمية مؤكدة (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)^(٣)

- الدعاء لله: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)^(٤)

(١) - الامام زين العابدين- الصحيفة السجادية -دعاء رقم ٤٧.

(٢) - سورة محمد-آية رقم ٣٣.

(٣) - سورة يس-آية رقم ٨٣.

(٤) - سورة غافر-آية رقم ٦٠.

- الإستغفار: طلب المغفرة من الله بإعتباره امرأ الهياً (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ^(١) مالك كل شيء والعدل والذي يغفر ويشيب أو يعاقب... والتوبة اليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمُ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ...) ^(٢) ويقول الإمام زين العابدين (وَغْفِرَ لِي مَا تَعَلَّمُ مِنْ ذُنُوبِي.... وَغْفِرَ لَنَا مَا خَفِيَ مِنْ ذُنُوبِنَا وَمَا عَلَنَ... وَغْفِرَ لَنَا... وَغْفِرَ لِي.) ^(٣)

فلسفة الدعاء وأهدافه.

ترتكز فلسفة الدعاء على الإعتقاد، بوجود حصرية طلب العون والنجاة والرزق وكل ما يرغب الانسان المسلم ويحتاجه من الله القادر، الذي يملك كل شيء ووسعت رحمته كل شيء (مع جواز التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين لكرامتهم عند الله، كواسطة وليس كجهة قادرة) والدعاء وفق النص القرآني وسلوكيات الأنبياء والرسل له، لتحقيق الأهداف الآتية:

- (الدعاء لتأكيد التوحيد والطاعة). تنفيذ التكليف الإلهي، بوجود الدعاء لرب العالمين (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ..)، لتأكيد ثقافة وعقيدة "التوحيد" عند كل تفصيل دينوي و أي مشكلة او حاجة أو مرض او بلاء، ليبقى الإيمان بالله، ككفيل ووكيل حاضراً في عقل الإنسان وحاكماً، للسلوكيات والأفعال والأقوال الإنسانية، كما يقول الله سبحانه (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) ^(٤) وان يتصرف المسلم المؤمن بأن الله موجود (أقرب من حبل الوريد) وان نداء النجدة الإلهية المستدام؛ بشرط توفر الشحن الروحي المتمثل، بالإيمان وحسن الظن بالله سبحانه، والذي لا ينقطع ولا يتأثر بوسائل الإتصال الأرضي او الأقمار الصناعية وما يماثلها او التي يتم اختراعها فيما بعد، أو النقل، أو الإسعاف، أو الأمان، وعدم الضياع خلاف أي رقم نجدة او طلب معونة بشرية محدودة التغطية والقدرة على الوصول، أو السرعة بالوصول أو القدرة على المساعدة إذا وصلت وكما يقول رسول الله الأكرم (صلى الله عليه وآله) (أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك) ^(٥) ، لترسيخ العبودية لله فقط، كسيد ومولى ورب، مما يجعل الانسان

(١) - سورة البقرة-آية ١٩٩.

(٢) - سورة التحريم- آية رقم ٨.

(٣) - الامام زين العابدين- الصحيفة السجادية- العاء رقم ٤٨.

(٤) - سورة العلق-آية رقم ١٤.

(٥) - المتقي الهندي_ كنز العمال-٥٢٥٠

المتوكل على الله في دائرة الأمان من الشرك الواضح أو الشرك "الخفي" غير المرئي وغير "المقصود" وعندما يصل الإنسان الى درجة العبد الصالح لله سبحانه، عندها يمكن أن يكون خليفة الله على الأرض وفق النص الإلهي (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً^(١)) ويمكنه عند ذلك، الدعوة الى الله سبحانه ومقاومة الظالمين ومقاومة التحريف والتزوير وكل عناوين الأعمال السيئة والشريرة، وإستبدالها بالكلمة الطيبة.

- الدعاء والتوحيد العملي:

ان التوحيد لله سبحانه على مستويين، يجب أن يتكاملاً ويتلازماً؛ ليكون التوحيد أصيلاً، كما أراد الله سبحانه وكما دعا إليه الرسل والأنبياء والأئمة والصالحون.

- التوحيد النظري "الشفهي": نطق الشهادة (إن لا إله إلا الله... وحده لا شريك له)

- التوحيد العملي: ان تركز سلوكيات الإنسان المؤمن وتتناد لمفهوم ومتطلبات التوحيد، دون إشراك لأحد في الملك، أو القدرة أو الرزق أو الأمان والصحة.

والتوحيد المثالي، ان يتكامل التوحيد النظري مع التوحيد "العملي - السلوكي" حتى لا ينزلق "المسلم_الموحد" نظرياً ولا يوحد عملياً الى دائرة النفاق (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)^(٢) أو ان تقولوا ما لا تعتقدون.. !

والدعاء، إقرار مُتجدّد ومُستدام من لإنسان بتوحيد لله سبحانه، والإعتراف بقوته الكبرى وبجبروته الأشد وبرحمته الأوسع ومغفرته اللامتناهية ورزقه الذي لا ينفد، فمن استتكف عن الدعاء، لله سبحانه ولجأ الى البشر أو الحجر والخشب (الأصنام) فقد هشم وزرع التوحيد النظري الذي يعطيه صفة المسلم، لكنه لا يجعله من المؤمنين او المتقين او المحسنين والأبرار...

تأسيساً على هذا المفهوم والإعتقاد بالدعاء، ركّز الإمام زين العابدين في منظومته العبادية على الدعاء (كعبادة) لتثبيت "التوحيد العملي" بعد أن انحازت الأمة الى دائرة التوحيد النظري، وانحرفت الى الشرك العملي الخفي والسلوكي، بوجهيه "المقصود" و "غير المقصود"، لإطاعتها السلطة الأموية نتيجة إعتقادها بأنها القادرة وهي المرجع وبالتالي إذا تراجعت الطاعة لله سبحانه والطاعة للسلطة الأموية، إتجه أغلب الجمهور العام الى طاعة السلطة

(١) - سورة البقرة - آية رقم ٣٠.

(٢) - سورة الصف - آية رقم ٣.

الأموية ونقض التوحيد العملي... ضمن المنظومة التي ظهرت بعد استشهاد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وعبر عنه "ابن عباس" (١) ((يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وتقولون قال أبو بكر وعمر (٢) وفي رواية أخرى (أراكم ستهلكون... أقول قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وتقولون قال أبو بكر وعمر) (٣).

- (حصرية الدعاء لله): تأكيد حصرية الإستعانة بالله (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) وتسخير النفس والقول والفعل سرّاً وعلانية، بالتفكير والدعوة الى الله والتسبيح بذكره على مستوى الفرد ثم الإنتقال بدعوة الجماعة والأمم، وهذا هو دور الأنبياء والرسل في مهمتهم وبعثتهم الإلهية، ثم تنتقل هذه المهمة للأئمة، ثم الصالحين وصولاً الى كل فرد يؤمن بالله واليوم الآخر وهذا ما يمكن لمسه، بشكل واضح بدعاء النبي موسى (عليه السلام) الى الله سبحانه وتعالى ان يشرح له صدره وييسر له امره ويحلّ عقدةً من لسانه ويرزقه الفصاحة والبيان، ليفهم ويتفهم الناس قوله ودعوته، ثم ان يشد إزره بأخيه هارون، لهدف واحد وأساس كما جاء في القرآن الكريم على لسان النبي موسى "ع" (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا، إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) (٤) وكما حصل مع نبي الله إبراهيم عندما سأله جبرائيل (عليه السلام) أثناء القائه بالنار وهو في الهواء... ألك حاجة؟ واكتفى بالقول (حسبي الله ونعم الوكيل)... فقال: أَمَا إِلَيْكَ فَلَ، وَأَمَا مِنْ اللَّهِ فَبَلَى. وكما رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما اجتمع الكفار ضده (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (٥).

الوعيد الإلهي، للذين يدعون غير الله سبحانه.

بناءً على أهمية الدعاء في المنظومة الإلهية، لتأمين صناعة الإنسان المؤمن والعبد الصالح المطيع لله سبحانه والمرتبطة. بكل عمومياته وتفاصيله وحاجاته في السر والعلن بالله سبحانه وتعالى، فقد كرّر القرآن الكريم الدعوة

(١) - عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، (٦١٨-٦٨٧هـ) ابن عم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وصحابي محدث وفقه وحافظ. (ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، صص ١٨٦ - ١٨٧)

(٢) - ابن القيم الجوزي - زاد المعاد - جزء ثاني - صفحة ١٩٥.

(٣) - احمد بن حنبل - المسند - الجزء الاول - صفحة ٣٣٧.

(٤) - سورة طه - آية رقم ٣٣.

(٥) - سورة آل عمران - آية رقم ١٧٣

الواضحة والصريحة، بوجوب الدعاء لله سبحانه وتعالى وحده، ثم التأكيد على عدم جواز الدعاء لغير الله بشراً أو حجراً أو نجماً أو قمراً أو شمساً أو وهماً واستكمل هذه المنظومة الإلزامية، بالوعيد بتعذيبه للعاصين المعاندين الذين ظلموا أنفسهم وانحرفوا نحو آلهتهم المتعددة الضعيفة، مما زادهم خسراناً وضياًعاً في الدنيا والآخرة فقد ورد في الآية الكريمة ((وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ))^(١). ويؤكد في آية ثانية على حتمية المحاسبة الإلهية وكفر الذين يدعون لغير الله سبحانه (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ، لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ، فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)^(٢) ويصل الإمام السجّاد في هذا المر للدعاء بأن يعينه الله سبحانه على نفسه حتى لا تشعر بالقوة والقدرة الذاتية فتمتنع عن الدعاء فيقول (وَلَا تَكِلْنِي إِلَى حَوْلِي وَقُوَّتِي دُونَ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ)^(٣) ويدعو أيضاً (وَرِزْقِي إِلَيْكَ فَاقَةً وَقُفْراً).^(٤)

الدعاء لطلب المغفرة والرحمة.

إن الدعاء سبيلٌ للنجاة في الآخرة ومفتاح التوبة لله سبحانه عن عمل أو قول كان فيه معصية ولا سبيل للنجاة من العقوبة عليه، إلا الدعاء لله جلّ وعلا بطلب المغفرة والتجاوز عن الذنب والمعصية، بشرط إعتقاد الداعي، بحتمية العقوبة وعدم إمكانية الخلاص منها إلا بالدعاء لله سبحانه وحسن الظن بالله سبحانه والإعتقاد المطلق بتحقيق الدعاء إذا استجاب الله والتعهد بعدم المعصية ثانية "التوبة النصوح"، وهذا ما بادر إليه الأنبياء والرسل والصالحون، حيث طلب النبي موسى (عليه السلام) المغفرة له ولأخيه والدخول في الرحمة الإلهية، وأن يرزقه الحسنة في الدنيا والآخرة... (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)^(٥)

- الدعاء وتربية الانسان الصالح.

إن من أهداف الدعاء، صناعة الإنسان المسلم الصالح المؤمن بالله يقيناً، حيث إن الإنسان الضعيف يطلب العون من الأقوى والذي يعتقد انه قادرٌ على مساعدته أكثر من الآخرين ولا يمكن ان تدعو احداً غير موجود وبمجرد الدعاء

(١) - سورة هود _ آية رقم ١٠١.

(٢) - سورة المؤمنون - آية رقم ١١٧.

(٣) - الامام زين العابدين _ الصحيفة السجادية - دعاء رقم ٤٧.

(٤) - نفس المصدر السابق.

(٥) - سورة إبراهيم - آية رقم ٤١.

فانك تعترف بوجود الله وقوته وقدرته وسرعته في الإجابة على ما طلبت (إذا كان أخلاقياً أو لطلب الحلال والخير أو لمصلحتك بعلم الله سبحانه) ويصبح الدعاء صيغة ثانية لقول (أشهد ان لا إله الا الله) ... و(الله أكبر) وتكرار الدعاء هو تجديد البيعة والموالاة لله سبحانه وتعالى وكما أن الحج تجديد المبايعة لله سبحانه وتعالى، فإن الدعاء يمثل "الحج الدائم" لتجديد البيعة الإلهية وهي المدخل والأساس لصناعة المسلم الرسالي، خليفة الله على الأرض وكأنموذج بشري صنعه الدعاء، ليكون عبداً لله وفق ما يرضاه ويحبّه الله، وقريباً من النموذج الذي قال عنه الله سبحانه عن النبي موسى (عليه السلام): (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)^(١) ومصدقاً للعبد الذي يناجي ويتعهد لله سبحانه ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)^(٢) ويدعو الإمام زين العابدين (واعصمني، فَإِنِّي لَنْ أَعُودَ لِشَيْءٍ كَرِهْتُهُ مِنِّي إِنْ شِئْتَ ذَلِكَ)^(٣)

الدعاء وبناء الشخصية الإيمانية.

لقد حدّد القرآن الكريم، بلسان الأنبياء والرسل هدف الدعاء الأساس، وأظهر أن دعاء الأنبياء والائمة والصالحين، ليس من أجل انفسهم بالمعطى الدنيوي المادي، بل من أجل الذكر والشكر والتسبيح لله سبحانه ودعوة الناس لعبادته والدعاء الأمثل، ان لا يكون منحصراً بطلب الحصول على شيء مادي (مع استحباب الدعاء لأمر دنيوية) بل من أجل الرضى الالهي والتعبّد لله سبحانه وتعالى.

إن الدعاء الأول للنبي ابراهيم عليه السلام (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)^(٤) وهو إقامة الصلاة وعباده الله وان كل ما طلبه النبي ابراهيم (عليه السلام) من تأمين الزرع والثمرات ومقومات الحياة، سواء المجتمع الإنساني (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) لبناء البيئة التي تساعد الانسان على القيام بواجبه الديني الذي هو أساس الخلق (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون..) أي أن العمل بكل أشكاله، هدفه الأساس، تمكين الإنسان صحياً ومعيشياً، للقيام بواجبه العبادي... وليس العكس، أي إهمال العبادات لجني المال أو التكسب بالدين، لجني المال.

(١) - سورة طه_ آية رقم. ٤١

(٢) - سورة الأنعام، آية: ١٦٢-١٦٣.

(٣) - الصحيفة السجادية- دعاء رقم ٤٨.

(٤) - سورة إبراهيم _ آية رقم ٣٧.

يمكن أن يكون الدعاء، سبيلاً للدعوة الى الله سبحانه وتعالى، لكن بوجه معاكس وفق ما دعا به نبي الله نوح (عليه السلام)، بعدما يئس من تجاوب قومه الذين لبث في دعوتهم الفأ إلا خمسين عاماً، فدعا ربه (وَقَالَ نُوحٌ: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْآرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا، إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)^(١) حتى لا يُضِلُّوا عباد الله او يقاتلوه او يكرهونهم على الكفر سواء بالحصار او القتال او أي وسيلة، كما حصل مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مكة قبل الهجرة الى المدينة وغيره من الرسل والأنبياء اخرى والدعاء، لهلاك الكافرين الذين سيولدون كفَّاراً على شاكلتهم، لأنهم ابناء البيئة الكافرة التي تمنعهم من التواصل وسماع صوت الإيمان والهداية، مما يحاصر فطرتهم ويبقوا على دين آبائهم.

استجاب الله سبحانه وتعالى لدعوة نبيه نوح(عليه السلام)، فأغرق الكافرين، بالطوفان ولم ينبج منهم، إلا من آمن بدعوته ويمكن أن يكون هذا هو التأسيس الثاني للخلق بعد التأسيس الأول عند خلق آدم والذي بدأ بقتل "قابيل" لأخيه "هابيل" وهنا يطرح السؤال... هل ان الطوفان، كان القدر الإلهي لإعادة تطهير البشرية من سلالة القاتل قابيل!

لقد تم تفصيل هذا المفهوم والهدف الأساس للدعاء على لسان نبي الله موسى(عليه السلام) الذي يقول (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي، كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا، إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) وفي هذا الدعاء يناجي النبي موسى ربه، ليعطيه ما يحتاجه مع أخيه "هارون" بصفتهما الرسالية وتكليفهما الإلهي المباشر، بالدعوة الى عبادة الله سبحانه وتوحيده ويحتاجها كل مؤمن ليقوم بواجبه العبادي، لتأديب نفسه في إطار الإيمان بالله ثم بواجبه وفق الإستطاعة، لدعوة الناس الى دين الله "الإسلام" وفق الآية الكريمة (وَأَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) والآية الكريمة (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(٢). وقد ظهرت مطالب النبي موسى(عليه السلام) وفق الآتي:

- **المطلب الأول:** (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) وشرح الصدر، يكون بجعله قادراً على تحمل عبء الدعوة من خلال قذف النور في صدر المؤمن ليهتدي بالإسلام).

- **المطلب الثاني:** (وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) أن يُيسر الله أمره ويُسهل عليه عقبات مواجهة فرعون.

(١) - سورة نوح -الآيتين رقم ٢٦ و٢٧.

(٢) - سورة آل عمران_آية رقم ١٠٤.

- **المطلب الثالث (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي)** ولها تفسيران خاص لضرر أصاب لسان النبي موسى من جمرة فرعون، والثاني هو تمكين كلِّ داعٍ ومبشر بالفصاحة والبلاغة والخطابة وعلم الكلام للتمكن من إقناع الناس وهدايتهم أو الرد على افتراءات الأعداء واكاذيبهم..

- **المطلب الرابع (يَقْقَهُوا قَوْلِي)** أن يُفقه قوله، أي أن يكون كلامه هيئاً يسيراً ومفهوماً. وأن لا يجعلوا أصابعهم في أذانهم حتى لا يسمعو ما يدعوهم اليه.

- **المطلب الخامس:** تعيين مساعد له (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) وهذا إرشاد على وجوب الاستعانة بالأنصار والمستشارين المخلصين

ان كل هذا الدعاء وطلب هذه الحاجات، ليست لأمر شخصي دنيوي وإنما من أجل الوصول الى مرتبة التسبيح والذكر لله سبحانه وتعالى أي خلاصة العبادة والتوحيد (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا..)

أما دعاء رسول الله الأكرم (صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء الذي قال الله عنه في قرآنه الكريم (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فقد دعا ربه (وَقُلْ رَبِّ آغْفِرْ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)^(١) وهذا ما يؤسس بالتكامل مع الدعاء الإبراهيمي الأول، لطلب الرزق واجتماع الناس حول ذريته في مكة المكرمة؛ "ليقيموا الصلاة" وبالتالي فإن المطلب الأساس للدعاء هو العون والتوفيق، لكي يصل الإنسان الى دائرة العبادة الطوعية والمحبة لله سبحانه وتعالى من خلال صناعة الشخصية الإيمانية الإسلامية التي تمثل شخصية الإنسان - الخليفة على الأرض.

الدعاء ودوره في إعداد الشخصية الاخلاقية.

إن الأخلاق جزء من الدين، وتفصيل جزئي من منهج عام ويمكن إطلاق مصطلح "الأخلاق الإسلامية" كمنظومة للأخلاق الشاملة غير الناقصة، والتي تحتوي الكُلِّيَّات الأخلاقية للحضارات الإنسانية مع إضافات قِيَمِيَّة بمعنى الإكتمال الشامل ولا يمكن أن يكون الإنسان مسلماً؛ كهوية وسلوك دون أن يكون ملتزماً بالمنظومة الأخلاقية الإسلامية، بحيث يكون بالمعطى العقائدي، مسلماً وبالمعطى السلوكي غير مسلم من نافذة ، إنما الدين المعاملة ومن نافذة الآيات القرآنية (عبس وتولى أن جاءه الأعمى)^(٢). (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ

(١) - سورة المؤمنون_آية رقم 118.

(٢) - سورة عبس-آية رقم ٢.

وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ..)(^(١) (وَأَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْلَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)^(٢) فلا يمكن الفصل بين مبادئ العقيدة، بمعنى الإيمان بالله و متمماتها وانعكاساتها على السلوك الشخصي مع أنه يمكن للمسلم أن يخرق المنظومة الأخلاقية بعنوان؛ ارتكاب الذنب من سرقة، أو كذب، أو فساد، و غيرها، ويصبح في دائرة "التجميد" الديني وفي دائرة إنتظار العقوبة، إلا اذا بادر للإستغفار والتراجع عن الذنب مقروناً بالتوبة النصوح، مما يجعل الأخلاق وعناوينها ركائز أساسية، بمسألة الغضب أو الرضى الالهي مع نتائجها المؤكدة في الآخرة عقاباً أو ثواباً، بالإضافة إلى تداعياتها الدنيوية، مما يثبت أن الأخلاق من الشروط الأساسية لحياة القبول في لوائح" المسلم المؤمن" الملتمزم ليحوز شهادة "عبد الله" وليس مرتبة المسلم الناطق بالشهادتين..

إن المخالف الأول للمنظومة الأخلاقية الإلهية في الدنيا هو "قابيل" حيث أدى به، الحسد لأخيه وتفسيره الخطأ بمسؤولية أخيه عن عدم قبول الله سبحانه وتعالى لقربانه وقبول قربان "هابيل" حيث دفعه هذا الحسد لإرتكاب "أول جريمة قتل" أعظم من خسران قبول القربان الذي يمكن أن يتم التجاوز عنه بالتوبة وفعل الخير، فارتكب جريمة القتل التي يقول الله سبحانه وتعالى بخصوصها (أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ)^(٣) وهذا ما يثبت أن مخالفة المنظومة الأخلاقية التي اقرها الإسلام يمكن أن تؤدي إلى الخروج من الرضى الإلهي والخسران في الدنيا والآخرة وبالتالي يصبح الإيمان بالله وبدينه خارج إطار أن يكون جسراً للوصول إلى الفوز بجنان الآخرة والخلود في النعيم.

كما تكون مخالفة الأخلاق طريقاً إلى النار، يمكن أن تكون الأخلاق طريقاً إلى الجنة ولذا فإن باب الأخلاق من الأبواب الأساسية للدين وقمة المنظومة الأخلاقية أن تكون عبداً للخالق رب العالمين ومطيعاً مسلماً فاراً من المعصية والذنب، وانت تكون وفيّاً للذي خلقك وأخرجك من الظلمات الفكرية والعقلية الى النور (الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد)^(٤) وأول مخالفة للمنظومة الاخلاقية في الإسلام والتي تخرجه من المغفرة الالهية هو الكفر بالله سبحانه وعدم الإيمان به، لأنه وفق التشريع الإلهي، ليس من الأخلاق

(١) - سورة آل عمران= الآية رقم ١٥٩.

(٢) - سورة النحل_ آية رقم ١٢٥.

(٣) - سورة المائدة _ آية رقم ٢٣.

(٤) - سورة إبراهيم_ آية رقم ١.

والأدب ان تتمرد على من خلّقك ومن رزّقك ومن بيده حياتك ومماتك ومرصّك وشفائك، ثم تُنكر كلّ خير أعطاك وتبادلّه بالجحود العطاء!

إن من مواصفات ومميّزات المنظومة الأخلاقية؛ ان عناوينها الأساس لا تتغيّر وفق الزمان والمكان أو وفق المصلحة أو الشخص، بل هي ثوابت لا تتغير، فالصدق له تعريف واحد، والكذب له تعريف واحد، والإصلاح والرشوة والوفاء والخيانة والتسامح والغدر هي تعريفات ثابتة لا تتغيّر، ويمكن أن تتغير وسائلها وحيثياتها وطرق إظهارها، لكن مفاهيمها الأساس لا تتغيّر؛ وهي مشتركة بين كل العالمين، فتعريف الصدق هو تعريف عام وموحّد في الأديان والحضارات الإنسانية كلها، وكذلك الكذب وكذلك الغدر، والخيانة، والوفاء وهذه المميّزات الإيجابية للمنظمة الأخلاقية وعناوينها ومصطلحاتها، فإن بادر البعض للتغيير في مصطلح الصدق وتوصيفه، فلا يعود صدقاً، وإنما ما يشبه الصدق وكذلك الأمر بالنسبة للغدر والوفاء والكذب ' وبالتالي فإن أي تعديل في مفهوم الصدق وتعريفه، ينسف أصل المفهوم ويصبح عنواناً آخر وهذا ما يُسهّل عملية محاسبة الناس ومعرفة، هل أنهم ملتزمون بعناوين الأخلاق ومبادئها، ام أنهم يحاولون تحريفها والإلتفاف عليها ويفقدون عندها، صفة الإلتزام بالأخلاق.

وهنا يأتي دور الدعاء، كمساعد وكمنهج للإرتقاء بالمستوى الأخلاقي والسلوكي للإنسان، عندما يطلب العون ويعاهد الله سبحانه على الطاعة وعدم ارتكاب المعصية وعدم الجنوح نحو الفساد الأخلاقي لقناعته بقدرة الله على العقوبة، ومنحه الثواب على ذلك، فيصبح الدعاء جسراً للفوز، بالأخلاق الحسنة ورزقاً من الله سبحانه وتوفيقاً له في الدنيا مع ثواب خير وأبقى، في الآخرة والدعاء الصادق مناجاة و خطاب وتواصل بين المخلوق والخالق؛ للفوز بالأدب الالهي والصناعة الإلهية والرعاية الإلهية بحيث يكون العبد في عين الله وضمن دائرة "الاصطناع" الالهي للإنسان.

تأسيس المدرسة الإلهية، للتربية بالدعاء.

ساهمت ظروف الحصار والقهر الأموي التي منعت الامام زين العابدين من أي نشاط عام، سواء كان سياسياً أو دينياً، حفظاً لبقائها وعدم تعرّضها لثورة إضافية، بقيادة الإمام ولأن مسؤوليته إعداد المسلم الصالح وصولاً للمجتمع الصالح الذي سيتمردّ حكماً على النظام الظالم، فقد لجأ لتأسيس، ما يعرف بمدرسة "التلميذ الواحد" الذي يتلقّى درسه "الدعاء" بالتواتر عن الإمام، لكنه يقدّم امتحانه ويطلب المساعدة من الله سبحانه الذي لا يستطيع أحد حجبهِ ولا ييأس أو يتعب من توجّه إليه واستعان به، فيجده وهو أقرب من حبل الوريد.

إن المنهج التربوي لهذه المدرسة "السجّادية" يعتمد على:

- التسجيل الطوعي دون إكراه أو بناء لدعوة من الامام أو المؤمن الصالح.
- إلغاء الوساطة بين العبد وربّه والتواصل المباشر مع حفظ السّتر والسرّ.
- تأديب النفس ذاتياً، للوصول لرضى الله والفوز بمغفرته ورحمته.
- العمل من أجل الفوز بالآخرة، كهدف أساس.
- النتيجة الإيجابية المؤكدة، حيث أن الرازق والمُعطي هو الله العادل الذي وسعت رحمته كل شيء.
- التحرّر من الخوف أو الرهبة وعدم طاعة الظالمين أفراداً أو نظاماً حاكماً.
- الدعاء التعبوي التربوي غير الطقوسي الجامد والحيادي، لتأهيل النفس الإنسانية وتزكيتها، غير الأمانة بالسوء.

وقد رُوي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال... ان الله سبحانه وعظ النبي عيسى (عليه السلام) (يا عيسى... ابغني عندَ وِسادِكَ تَجِدَنِي، وادعُني وأنتَ لي مُحِبٌّ؛ فَإِنِّي أَسْمَعُ السَّامِعِينَ، أَسْتَجِيبُ لِلدَّاعِينَ إِذَا دَعَوْنِي).^(١)

هل الدعاء فرض واجب أم عمل اختياري..؟

السؤال المطروح... هل الدعاء فرض واجب أم عمل اختياري تطوعي استحبابي أو أنّه من منظومة أدبية وروحية في العلاقة مع الله سبحانه وتعالى.؟

صحيح أن الدعاء لم يكن ضمن الفرائض والأصول والفروع أو أركان الدين الواضحة والتي نصّ عليها المشرّع مع اختلاف في توصيفها وعناوينها بين المذاهب الإسلامية، إلا أن الجميع يشتركون في مسألة استحباب الدعاء... وللإجابة عن هذا السؤال...

لابد بدايةً من توضيح ماهيّة وجوب الأوامر الإلهية في النص القرآني؟

هل تصبح فرضاً واجباً على كلّ مسلم سواءً إلقت إليها المشرّع بالنص والوجوب أو لم يلتفت إليها نصاً أو تلميحاً أو التفت إليها بعنوان الاستحباب والإباحة؟

(١) - الكافي_الكليني-ج٨-ص ١٣١.

يقول رسول الله الأكرم (صلى الله عليه وآله) (إن الدعاء هو العبادة)^(١) وبما أن هدف الخلق هو العبادة (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وهذا يؤكد أن ترك الدعاء إخلالٌ بالعبادة وتقصير في التبعّد لله سبحانه. و يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) (ترك الدعاء معصية)^(٢) وفي وصية الإمام علي (عليه السلام) لابنه الامام الحسن (عليه السلام) (إعلم أن الذي بيده خزائن ملكوت الدنيا والآخرة، قد أذن لدعائك، وتكفل لإجابتك، وأمر أن تسأله ليعطيك، وهو رحيم كريم، لم يجعل بينك وبينه من يحجب عنه،).^(٣) ويقول الإمام زين العابدين "ع" مخاطباً الله سبحانه و تعالى (فسميت الدعاء عبادة، و تركه استكباراً و توعّدت على تركه دخول جهنم داخريّن)^(٤)

إن كل أمر إلهي في النص القرآني يعتبر وفق (رأي الشخصي وما أفهمه وما أعتقد به) أنه أمر واجب التنفيذ والطاعة، طالما أن الأمر الإلهي يأمر (أدعوني أستجب لكم) (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) فهذا أمر واضح بوجوب الدعاء لله سبحانه وتعالى دون منطقة فراغ للاختيار، فيصبح الدعاء أمراً إلهياً واجب التنفيذ على المسلمين والمؤمنين، لدخول دائرة الطاعة والتقوى ومن استكف أو قصر وامتنع، فيدخل في دائرة المعصية التي يقرّها الله ويقرّر عقابها والأكثر وضوحاً على أن الدعاء واجب غير إختياري قول الله جلّ وعلا (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)^(٥) وإن الذي يستكبر أو يمتنع عن الدعاء لله سبحانه، سيدخل جهنم صاغراً وفق الوعيد الإلهي.

لقد تكرر الأمر الإلهي بوجوب الدعاء لله سبحانه وتعالى والخطاب للجماعة "أي الأمة" أكثر من عشر مرات وفي سور متفرقة (- سورة البقرة- آية رقم ١٨٦ - سورة الإسراء - آية رقم ١١٠ - سورة الأعراف - الآيات رقم ٥٥ و ٥٦ و ١٨٠ - سورة الانعام - آية رقم ٤١ - سورة غافر - الآيات رقم ٦٥ و ٦٦ و ٦٠ - سورة الكهف - آية رقم ٢٨)

فإذا كان الأمر الإلهي بوجوب أداء الصلاة وإيتاء الزكاة (واقموا الصلاة وآتوا الزكاة) أو الأمر الإلهي بوجوب الصيام (يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) مع أن صيغته آية الصيام صيغة

(١) - الترمذي_ سنن الترمذي (الجامع الكبير - حديث رقم (٢٩٦٩).

(٢) - ورام المالكي الأشتري_ تنبيه الخواطر - ج ١٢٠١٢.

(٣) - الكافي - الكليني - ج ٢ - ص ٤٦٦.

(٤) - الصحيفة السجادية _ دعاء رقم ٤٥.

(٥) - سورة غافر - آية رقم ٦٠.

إخبارية لإعطاء العلم والخبر والدعوة اليه، دون إستعماله صيغه الأمر المباشر "صوموا" والكلمة الوحيدة الواردة في القرآن بخصوص الدعوة للصيام أتت بعنوان النصيحة والتوجيه لإغتنام الخير " وإن تصوموا" (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ^(١)، كما هي صيغه (أقيموا الصلاة واتوا الزكاة وأدعوني وادعوا الرحمن..) والملفت في النصوص القرآنية الأمرة بالدعاء انها وصفت، إضافة لوجوب الدعاء، حالة العبد في الدعاء والكيفية وبالواقيت والطريقة وفق التالي:

كيفية الدعاء: وفق الأمر الإلهي (ادعوا الرحمن... وادعوه وله الأسماء الحسنى... فادعوه...)

أما وفق الأمر النبوي ("أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبِعُوا" ^(٢) على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا! إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم) ^(٣).

حالة الداعي: ادعوه تضرعاً علانية وجهراً (تذلاً وخوفاً وإلحاحاً) وخفية "سراً" (التذلل والتمسك والمسكنة والتوسل) ودون الجهر من القول بمعنى أن تُسمع نفسك ولا ترفع صوتك،... وخوفاً وطمعاً.... فادعوه مخلصين..

مواقيت الدعاء: بالغداة (ما بين الفجر وطلوع الشمس) والعشي (مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَغْرِبِ أَوْ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْعَتَمَةِ). وهذا التفصيل المتعلق بالدعاء، يؤشر لأهمية الدعاء في منظومة التوحيد والعبادة والاخلاص والإتكال على الله سبحانه وفق ما يمكن تسميته (الدليل الإلهي للدعاء) لناحية الكيفية والمناداة والمواقيت وصفة الداعي أو الداعين من الناس.

هل عدم الدعاء .. إستغناء عن الرحمة والعطاء الإلهي؟

إن استكاف العبد عن الدعاء والتوجه، لطلب العون من الله سبحانه وتعالى مع وجوب الالتفات وفهم الآية القرآنية (قل ما يعبأ بكم ربي، لولا دعاؤكم، فقد كذبتم فسوف يكون لزاما) ^(١) ويمكن تفسيره على عدة أوجه وفق الآتي:

(١) - سورة البقرة -آية رقم ١٨٤.

(٢) - اربعوا تعني... ارفعوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم.

(٣) - البخاري_ صحيح البخاري -كتاب الدعوات باب الدعاء -(حديث رقم: ٦٣٨٤).

- **القناعة والرضى:** قناعة العبد ورضاه، بما قَسَمَ الله له من رزقٍ في هذه الحياة الدنيا ورضي بواقعه أو الخوف من التجرؤ على الله سبحانه وتعالى بتغيير قدره وما كتبه لهذا العبد أو جهل، لمفهوم ومعنى الدعاء وآدابه وموقعه في منظومة التوحيد والتعبد والخضوع لله سبحانه وتعالى.

- **الإستغناء وعدم الحاجة:** عدم الحاجة، لطلب العون من الله سبحانه وتعالى، إما لإعتقاده بعدم القدرة الإلهية على توفير وتحقيق ما يريد؛ أو الإعتقاد بتأخر الإستجابة الإلهية مع حاجته الملحة والسريعة؛ لتحقيق رغباته أو في الحالات الأشد سوءاً، عدم الإيمان بالدعاء والتّوجه نحو السبُل المادية الملموسة المباشرة لتحقيق حاجاته.

- **الاستعانة بالمخلوقين:** التّوجه للإستعانة والطلب من البشر المخلوقين أصحاب السلطة والمال، لقضاء حاجته أو حمايته أو طلباً للرزق ورد الشر عنه، وضعف إيمانه وجهله بأثر الدعاء وعدم تصديقه بالإستجابة الإلهية لدعائه، إما لعدم إخلاصه أو نقص في إيمانه، فيتكىء على جهده العقلي، وتقديره للأمور، ومبادرته، لسلوك طريق آخر يتوجه نحو البشر بعيداً عن التّوجه نحو الله سبحانه وتعالى ويقول الإمام زين العابدين ع(و اعصمني من أن أظن بذى عدم خساسة و صاحب ثروة فضلاً، فإن الشريف من شرفته طاعتك و العزيز من أعزته عبادتك) (١)

دور الدعاء في التواصل بين المخلوق والخالق.

إن للدعاء دوراً مهماً وإساساً في التواصل بين المخلوق والخالق(الله جلّ وعلا) وتتنوع طرق التواصل "ومجازاً" التحدث مع الله سبحانه وتعالى للخلق على أربعة مستويات:

- **الوحي:** وهو الخاص برسول الله وانبيائه (عليهم السلام) حيث تكون الملائكة هي الواسطة لنقل الأمر والاحكام الإلهية للرسول والأنبياء، حيث أن جبرائيل (عليه السلام) هو الملك المكلف بنقل الوحي والواسطة بين المرسل (الله سبحانه) وبين (الرسول والانبياء).

- **الصلاة:** هي المستوى الثاني من التحدث (مجازاً) مع الله سبحانه وتعالى وما وصف "مجازاً" بأنه حديث الخلق مع الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة الفرقان-آية رقم ٧٧.

(٢) - الصحيفة السجّادية _ دعاء رقم ٣٥.

-**القرآن الكريم:** إن قراءة القرآن وهو كلام الله سبحانه وكما تم توصيفه مجازاً حديث الله مع خلقه.

-**الدعاء:** وهو مبادرة العبد، للدعاء والمناجاة لله سبحانه وتعالى؛ للإستغفار أو طلب العون وقضاء الحاجة ولتحفيز وتشجيع العبد وطمأننته، من الله سبحانه يتمثل بتذكير الله سبحانه وتعالى للناس أنه قريب اليهم أكثر من حبل الوريد للمخلوق (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ..)

هل الدعاء، بديل عن العمل والسعي؟

إن التكليف الأساس للمسلم هو العمل وفق الآية الكريمة (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) ولضمان نجاح العمل، أمرنا الله سبحانه بالدعاء، لضمان النجاح والتيسير وتجاوز العقبات وإذا اتخذ الإنسان حالة القعود وعدم السعي، واتجه نحو الدعاء فقط، فهو يسلك الطريق الخطأ أو الطريق الذي لا يوصله الى مبتغاه أو تحقيق مطلبه، فالنجاح وتحقيق الحاجات والمطالب يسير على قائمتي (العمل والدعاء) العمل لبذل الجهد واستخدام ما اعطاه الله من جوارح وعقل؛ والدعاء بمثابة الحصن الالهي المانع للفشل، فيقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) (الداعي بلا عمل، كالرامي بلا وتر. ^(١))

لقد نهى الإسلام عن سلوك التنسك والزهد والإنعزال، للتعبّد ولا يعمل، لإعالة نفسه أو عياله، فكل الأنبياء عملوا مع أنهم يملكون سلاح وكنز الدّعاء والوعد الإلهي بالإستجابة، فمنهم النّجار والخيّاط و المزارع والتّاجر والراعي، لكنهم لم يسلكوا طريق الدعاء فقط، لتأمين معيشتهم، بل سلكوا طريق الدعاء للتوفيق بنشر الرسالة المكلفين بها، والدّعاء لأمتهم، بالنجاة من الكفر والشرك للوصول الى الهداية والإيمان.

ومن الأمور الظّالمة "للإمام زين العابدين" ع" توصيفه بأنه "إمام الدعاء" وليس "إمام العمل" لكنه في الحقيقة كان إماماً عاملاً قائماً غير قاعد، مسلّحاً بالدّعاء الذي هو "سلاح الأنبياء" وتصدّى لمهمة حفظ السنّة النبوية والقرآن الكريم من التزوير والتغيير والتغيب التي بادر اليها الأمويون، ونجح في عمله على مدى أربعة وثلاثين عاماً وهي فترة إمامته، واستطاع حفظ الإرث النبوي والإمامي والتفسير السلوكي للقرآن الكريم وكان الدعاء حافظاً ومنهجاً لعمله، فكان الدعاء سلاحاً ووسيلة وليس طقساً بارداً وجامداً.

(١) - العلامة المجلسي بحار الأنوار _ ج ٩٣ - ص ٣١٢.

خلاصة...

اعتمد الإمام زين العابدين (عليه السلام) منهج الدعاء، سبيلاً لحفظ الإسلام والسنة النبوية الشريفة، وإعداد الشخصية الإسلامية المؤمنة، بمواجهة التحريف الأموي والحرب الثقافية الأموية التي صنعت شخصية إسلامية مهجنة أموياً ومن خصائص المنهج السجّادي في "الدعاء".

- أصالته القرآنية والنبوية والإمامية.
- تثبيت التوحيد العملي.
- إعداد الشخصية الإسلامية التي تطيع الله سبحانه ولا تطيع السلطة الأموية أو أي ظالم.
- إعداد الشخصية الإسلامية الموحدة... المرتبطة في كل حياتها، بالله سبحانه.
- تربية وتثقيف الفرد والجماعة على حصريّة الدعاء لله سبحانه والذي يضمن تحقيق مصالح الفرد والجماعة وفق الغيب والرحمة الإلهية.
- الدعاء سلاح الأنبياء والمؤمنين... وهو عمل جهادي وليس قعوداً وضعفاً.
- الدعاء أمر الهي واجب التنفيذ وليس أمراً اختيارياً، للإنسان المسلم والمؤمن ليفوز بالثواب الإلهي.
- الدعاء من أركان الإسلام الأساسية وباباً من أبواب التوحيد لله سبحانه.
- الدعاء إقرار بالعبودية الخالصة والصادقة والطوعية لله سبحانه وإعتراف بالضعف بالتلازم مع الحاجة الأكيدة لعون الله سبحانه لتحقيق مطالب الفرد أو الجماعة.
- وجوب تكامل الدعاء مع العمل والسعي الحلال "دعاء وعمل".

أ. د. نسيب محمد حطيط العاملي

١٥ آب ٢٠٢٤ ميلادي... الموافق ١٠ صفر ١٤٤٦ هجري

المصادر:

- القرآن الكريم.
- الصحيفة السجادية.
- صحيح مسلم - المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) - دار إحياء التراث العربي ببيروت، - ١٩٥٥ م.
- صحيح البخاري. : أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي - الناشر: دار ابن كثير - دمشق بيروت - سنة النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

المراجع:

- الجامع الكبير (سنن الترمذي) - المؤلف: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي - الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م.
- الشيخ الصدوق، الامالي - دار الأعلمي لمطبوعات - بيروت - لبنان - ١٤٠٠ هجري
- احمد بن حنبل - المسند - دار الفكر - لبنان.
- الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان.
- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.
- تنبيه الخواطر: . أبي الحسين ورام بن ابي فراس بن حمدان المالكي الاثري - العتبة الحسينية المقدسة. -
- تحف العقول - ابن شعبة الحراني - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان.
- زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن القيم الجوزي. - مؤسسة الرسالة، بيروت - الطبعة: الأولى، - ١٩٩٦ م.
- سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) - الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
- شرح الأربعين النووية - المؤلف: عطية بن محمد سالم - الناشر دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - دار المحجة البيضاء - لبنان - ٢٠١٦.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ الألباني، دار النشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - المتقي الهندي - مؤسسة الرسالة - عام ١٩٨١ - بيروت - لبنان.
- مختصر تاريخ دمشق - ابن عساكر - تصنيف ابن منظور - ١٩٨٩ - دار الفكر - دمشق - سورية